ألف ليلة ...

للأستاذ دريني خشبة

كلما نست الإنسانية أو جثمت على صدرها الهموم والآلام ، لجأت إليك يا ألفَ ليلة الحبيبَ تخدِّر بك أعصابها المنهوكة ، وتحسو من نهر أحلامك تلك الجرعة السحرية العجيبة ، فتستسلم للأحلام ...

أنت أيها الأغنية الخالدة التي تترقرق في أرواح المحزونين ما أبدع شاديك وما أملأ بالفتنة ناديك !

لله حورياتك التي تثبُ كالقطا نحو أبواب المشرق بعد إذ فتّحتْ أكمام الورد ، وغسلت بالندى أحداق النرجس ، ووسوست في صدور المراعيش ، وأيقظت الحياة في القرية الحالمة ، وذاعبت كل أم بالأماني ، وجسّتِ الديكة فأطلقت حناجرها للريح تتأذن للشمس أن تشرق ، وللبدر أن يغيب ، وللأنجم الظالعة أن تغرق في فيض الضوء الذي يفتر عنه ثم الصبح !

لله عذاراك يا ألف ليلة الحبيب ! إن في عيونهن لكل الشرق ، وفي وجوههن سياحته التي لا تعرف الدمام ! إنهن يسبحن فوق السحاب المرشى بأجنحة من ذهب لا تُقل له ... لأنه ذهب مما تصب سبائكه أخيلة الشعراء والحالمين والظامئين ، تلك الأخيلة التي تصنع الطوبى ، وتنبت الجنان ، وتوسل الألحان الصامتة ، وتنحت التماثيل الحية ، وتفرش أديم الأرض الطيبة بأوراق الورد والبنفسج ، وتفجر فيها أنهار المعرفة ، وتعطر نسيمها بعبق الزنبق ، وتملأ أرجاءها بألسن الموسيقا ، وتبني فيها القصور للعشاق والمحبين من البلور واللؤلؤ المنثور ...

أملأ كأسك السحرية يا ألف ليلة الحبيب لتشرب الإنسانية المتعبة نخب أحلامك ... إنها تود أن تنام فلا تصحو ... إن الأشباح الكريهة الشائهة قد ملأت عليها عالم الحقيقة ، وهجمت عليها فجأة من الغابة المظلمة الفاحمة أفاعي الأحقاد ... ها هي ذي الضباع الجائعة التي أصابها السعار تنوشها من كل فج ، وتتلقفها في كل مكان ... في البر ... في البحر ... في الهواء ... تحت الماء ... في المخابئ ... في الخنادق ... في البروج المشيدة ... في البيداء ... في القرية ... في المدينة ... في كل مكان يا ألف ليلة الحبيب تجد الإنسانية الأشباح ذات الظفر والناب ... أشباح السباع والضباع وعفاريت الجن والسحراء والأفاعي والرخاخ الهائلة التي تحمل فراخها الفيلة ، والتنانين الطائرة التي تنزع الأشجار وتحطم المدن وتجعل العامر يَباباً داثرا

لشد ما تفزع الإنسانية يا ألف ليلة الحبيب بهذه الرؤى التي زحمت حولها عالم الحقيقة ، فهبها كأسك السحرية مترعة لترسل بها إلى وادي أحلامك ... وادي البدور والحور والعطور والبخور ... وادي الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار ... الوادي الجميل الذي لا كروب فيه ولا حروب ... الوادي الأخضر السندسي الذي يستطيع كل شيء فيه أن يبتسم وأن يغني وأن يتكلم بلغة الموسيقا ... لأن كل شيء فيه يستطيع أن يُحب ...

يفرح بمداعبتها نسيم ، ولا يتطلع إليها نور الصباح

كان بيدي أن أهصرك ، أيها الغصن الوريق ، فكيف جاز أن أسلك مسلك الزهادة فيك ؟

رأيت أن أجعلك فوق مشتهيات العيون والقلوب ؛ يا أجمل وأظرف ما تشتهيه العيون والقلوب

كان رأيك أنني ترفقت بنفسي فلم أقل إنك هواي ، وكان رأيي أني أرحمك فلا أقول إنك هواي ، لأني أقدر منك على مقاومة الرقباء

فيا أنضر غصن في أجمل شجرة تتخايل في أعظم بستان ، ما رأيك فيمن يكتم هواك ؟ ألا يكفي أن الغناء يحبك صيّرني أشقى الأشقياء بالحب في زماني ؟

سكتُّ فقال العاذلون أنت ، ونطقتْ فقال الكاشحون أنت ، فمن أنت ؟

آفتي في زماني أني أحب الغصن الوريق ، فليعرف من لم يكن يعرف أن هواي مقصور على الأغصان الوريقة بحديقة داري في سنتريس ، مع الأدب في حق من زار تلك الدار وكأنه طيف من أطياف الخلود

زكي مبارك

الوادى الذى تبتسم شُطآنه ، وتَبْغمُ غزلانه ، وتغازل الأرواح ألوانه ، ويُثلج الصدور ريعانه ... نَضر ريّان ، حُلو فينان ؛ حينما تدخله الإنسانية الباكية تَطّرِحُ أشجانها ، وتنسى عند بابه أحزانها ، فتمشى فيه بقدميها الورديتين ، اللتين أرهقهما المشى فى تلك الطريق الجافة الجافية المضرجة بالدماء ، تبكى أطفالها ، وتضحك من رجالها ... ولا من يرثى لحالها .

* * *

حينما يداعب الحب قلوب العشاق ، لا يقنع إلا أن يترك فيها ندوباً يجرى منها الدم . فتارة يلون هذا الدم خدود العذارى وثغورهن ، إن كن رقيقات رحيمات ... أما إن كن قاسيات عاتيات ، لا قلوب لهن ، فإنهن يتركن الدم الشهيد المسكين يسقط ليروى الأرض . وقد يمشين فيه ويتلاعبن فيه حتى يخضب أقدامهن وبنانهن ، فيخيل للمخدوعين أنها وردية

ومن حسناتك يا ألف ليلة الحبيب من يملأن دنياك مباهج ومسرة . إنهن أرأف بالمدنفين من النسيم العَزِل بالزهرة الظامئة ؛ حين يبل صداها بالرذاذ النحيل الذى تحمله أجنحته ذات الرَّغب فيطبعه كالقبل فوق أوراقها التى ترتعش

أولئك المُحْسنات المُحْسَنات الحسّانات يا ألف ليلة ، اللائى يمهدن للانسانية طريق الخير ، ويُنْبتن فيها الورود والرياحين وأفواف الزهر

ومن حسناتك يا ألف ليلة من يشبهن حرب الحياة جذَعة . هن جميلات ذاك الجمال الفائر المتأجج الذى كل من مسه يحترق وجميع من دخل تيهه يضل ، ولا بد لمن يضرب فى بيدائه من التعاويذ والطلسمات والرقى ... تلك البيداء المسبعة المحوّاة[1] التى تعزف فى جنباتها الجن ، وتفح الأفاعى ، وتعربد الغيلان والسِّعالى ...

الجمال الخطر المتبرج الذى صنعته يد الشيطان ، وباركه إبليس الأكبر ، فقصر من ذيله ، وحسر عن ساقه ، وأرسل شعره كالزوابع الهوج تعصف بالقلوب الرطبة ، وتزيغ العيون الجائعة ، وتحرق العواطف المحرومة . ثم جعله سائباً طليقاً فى الطرقات ليهدم فيها ما تبنيه الآداب والأديان والمدارس ، وليثير غرائز الحيوان فيعود بالإنسانية إلى الغابة

* * *

هات يا ألف ليلة الحبيب من جرعتك السحرية فقد طال الانتظار بمعروف المسكين الإسكافى !

لقد ضاق بالشدتين : صنعته وزوجه ، فابعث إليه بهذا العفريت من الجن يحمله إلى بلاد الصين ، حيث يتزوج من ابنة الملك ! وحيث يحمل علاء الدين مصباحك السحرى إلى أمه فيرد بأساءها رخاء ، ومتربتها هناء وفقرها غنى ... ويطلب إليها أن تخطب عليه ابنة الملك ! بالضبط كما تهيأ الفرصة لمعروف الإسكافى . ولكل بائس محروم يفكر فى الناحية الأخرى المقابلة ، حيث الفرج والسخاء والرضا ، حيث طاقية الإخفاء وخاتم الملك والعصا السحرية ومصباح علاء الدين ، حيث الأرض الطيبة ، وجنة الأحلام ، والطوبى السعيدة الخالية من الآلام .

ألا ما أحوج الإنسانية إلى طاقيتك اليوم يا ألف ليلة الحبيب ! ما أبدع أن تلبسها لتستخفي من الطائرات والغواصات والطرابيد ومدافع الهاون ومدافع الميدان والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وقنابل الثمانية آلاف رطل !

إنك إن تفضلت بها اليوم فخلعتها على رأسها الذى يضطرب داخله ذلك البركان الأحمق ، فإنك تريحها من أبنائها الحمق ، وأطفالها السكارى المرابيد !

إنها تستطيع إذن أن تتخلص من مارس المتوحش الدموى وعمّاله المتوحشين الدمويين ، ومن تلك المجزرة المجنونة التى صنعت فى معمل الأبالسة ، وأُعِدّت فى جُبّ الشياطين ! إخلع عليها تلك الطاقية يا ألف ليلة وليلة لتصل إلى خزائن الأسرار الحربية ، فتريحنا من اختراعات الأبالسة ، ولتضع مكانها أشباح تيمورلنك وجنكيزخان وهولاكو وأتالاكى تصيح فى أوجه الجبارين : « مكانكم ، مكانكم ، ما هذا الدمار وما ذاك التخريب ؟ لقد دمرنا من قبل ، وخربنا من قبل ، وحرقنا المدائن والقرى ... ثم دمرنا الزمان وأحرقنا التاريخ ، فلم تك شيئاً »

إخلع عليها طاقيتك يا ألف ليلة الرحيم لتصل إلى خزائن البخلاء والمنهومين ومُختزنى الأرزاق والأقوات ، أولئك الذين تركوها تتضور جوعاً وترتعد محموماً ، ... وتذوب من

(١) التى تكثر فيها السباع والحيات

الاستحياء والتعفف لا لشيء ... إلا لتمتلئ بطونهم بنار الذهب الوهاج ... ليقتنوا الدور ويشيدوا القصور ... وليضاعفوا بعد من آلامها ... تلك الآلام التي يشربونها في كؤوسهم خمراً لذة ، وسُلافة مَرَّة ، وشراباً لا بارداً ولا طهوراً !

لقد طال بكاء معروف ومسغبته يا ألف ليلة ، فامنحه طاقيتك ليستخفي بها قليلاً من عصا زوجه وثقلها ... فما جنى شيئاً ؛ ولكن جنت عليه تلك الحرب التي لم يشعل نارها وهو يصلي بأوارها

* * *

أين الخاتم يا ألف ليلة ؟ خاتم الملك العجيب الذي يملك الدنيا من مَلَكه ؟ أين خادمه الجبار لينقل الإنسانية إلى كوكب غير هذا ... كوكب بعيد قصي ... كوكب غير قريب من المريخ فلا يراها مارس وأعوانه المردة الذين لا رى لهم إلا من دماء الأبرياء ، ولا شبع إلا ... بأكباد الأمهات والأيامى والمساكين وقلوب اليتامى والحزانى

أين خَبَأتَ هذا الخاتم يا ألف ليلة ؟ لماذا تبخل به على إصبع الإنسانية المرفوعة إلى السماء ، والدم يقطر من بنانها ؟ منَّ به عليها لتكتم أنفاس المدافع ، ولتوزِّع على الجائعين أرغفة بدل هذه القنابل والمنشورات التي تلقيها عليهم الطائرات ؟

لقد ضلت الإنسانية سبيلها في تلك المفازة ، فألق إليها بالخاتم يا ألف ليلة . . . ولقد اشتد الظلام الذي تضرب فيه على غير هدى ؛ فأشعل لها مصباح علاء الدين لحظات حتى تتبين سبيل الرشد ، وحتى تؤوب إلى الحق ، وحتى تعود لها نعمة الحياة التي يعدها المَرَدَة من سخافات الماضي

* * *

« لماذا هذا الحديث الطويل عن الدم والآلام والحَلْبَة ؟

أليس في الدنيا ركن أختبئ فيه بهذا الناي الذي في يميني ، وذاك القرطاس الذي في شمالي ، حيث أخلو إلى أناشيدي التي أملأ بها أسماع الرياح وآذان الآرام ؟

لماذا يُعوزني التحدث إلى الإنسانية ذات الأسمال ، وها هوذا الورد يصغي إلى ألحاني ، ويعطر الحديقة الضاحكة بعبير بياني ؟ »

هكذا وقفت شهرزادك تسائل نفسها يا ألف ليلة :

« سأمشي على ثبج هذا البحر بقدميَّ الجميلتين ، فتُسرِّع إليَّ جنياته وعرائسه .. وسأسبح على رؤوس الآكام في الهواء فتثب إليَّ بنات الغاب وعذارى الخمائل ... ثم أسبح فوق السحاب ... في مسيح الأثير ، فتقبل إلى ملكات العَلالي ... أما جنيات البحر وعرائسه فتقبِّل قدميَّ وتتلقى أوامري ... فَرَجالي ومفاتني لا يأذنَّ لنواصة أن تلج فيه ولا لبارجة أو ملقية طوربيد أو نحوها ... ولتمخر فيه الجواري المنشئات كدأبها من قديم آمنات مطمئنات

وأما بنات الغاب وعذارى « الخمائل » فتقبِّل بناني ، ثم لا يأذن لمدفع أو دبابة أن يشوه جمال دنياي الخالدة ... لن تصعد الآهات المكروبة من خرائب المدن الباكية بعد اليوم ... ولن تكون هناك أطلال تذكر بتلك المجزرة المجنونة

وأما ملكات العلالي فتقبل يدي ، وتنثر على الأرض المتعبة لآلئ الحكمة ، وتنتشر في الهواء لواء السلام ، وترد إليها المحبة والإخاء »

* * *

ما أجمل ما تُغنِّي شهرزاد يا ألف ليلة الحبيب ؟ !

شهرزاد ! روايتك الخالدة ! مخترعة الطاقية والخاتم ومصباح علاء الدين والعصا السحرية ... مسخرة الجن ، وصانعة التعاويذ والطلسمات والرق

شهر زاد ! حلم الإنسانية الجميل !

متى تصحو شهرزادك يا ألف ليلة الحبيب ؟!

دميني مُشبِّه

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية في الجنحة رقم ١٤٩ سنة ١٩٤٣ عسكرية مركز طهطا المتهم فيها غيطاني محمد عبد الله حضوريا بحبسه ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ مائة جنيه والمصادرة والنشر والتعليق لبيعه قمحاً بأكثر من السعر

حكم في القضية ٤٠٥ سنة ١٩٤٣ بولاق العسكرية ضد سيد محمد مصطفى بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل لمدة ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الأهرام والرسالة وتعليقه بمحل المتهم والقسم التابع له لبيعه الكمر بأزيد من السعر المحدد

حكم في الجنحة رقم ٩٦٣ عسكرية السيدة سنة ١٩٤٢ بتغريم محمود حسن غانم خمسين جنيها وبكر إبراهيم حسن مائة جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لبيعهما لحم جمل بأزيد من السعر المحدد